الحوار العربى الاوربى والصراع فى الشرق الاوسط

وضع الجانب العربى

للدكتور احمد صدقى الدجانى*

يمثل الحوار العربى الأوربى تجربة جديدة فى العلاقات الدولية، ويعتبر هذا الحوار مسألة تاريخ مشترك وحتمية مستقبلية لكلا الطرفين العربى والأوربى . إن الدراسة المكثفة لهذا الحوار توضح توقعات التعاون الواسعة فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ... إلخ .

وسنحاول فى هذه الدراسة أن نوضح المكانة التى يحتلها الصراع العربى الاسرائيلى بالنسبة للحوار العربى الأوربى ، وذلك عن طريق تحليل وجهة النظر العربية بخصوص تأثير الحوار من الناحية السياسية على الصراع العربى الاسرائيلى وكذلك تصور مستقبل الحوار وذلك على ضوء التطورات الأخيرة للصراع العربى الاسرائيلى .

تأثير الصراع العربى الاسرائيلى على الحوار : —

أخذ الحوار العربى الأوربى مظهرا جديدا فى العلاقات الدولية وذلك بعد اعلان الدول الأوربية التسع الأعضاء فى الجماعة الاقتصادية الأوربية فى نوفمبر ١٩٧٣ إدانتها للاحتلال غير الشرعى للأراضى العربية بالقوة المسلحة . كما وجهت الدول العربية من جانبها بيانا إلى دول أوربا الغربية وذلك فى أعقاب مؤتمر القمة العربى السادس الذى عقد فى الجزائر فى

(*) أستاذ بقسم البحوث والدراسات التاريخية بمعهد البحوث والدراسات العربية .

٢٨ نوفمبر ١٩٧٣ فقد كانت لأحداث حرب أكتوبر ولأزمة البترول التى صحبتها التأثير المباشر على الدول التسع والتى حفزتها على محاولة الاتصال فى نوفمبر ١٩٧٣ . ومن هنا يتضح أن أساس الحوار بين الجانب الأوربى مرتبط ارتباطا وثيقا بالصراع العربى الاسرائيلى .

إن وجهة النظر العربية الخاصة بالمكانة التى تحتلها مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى فى الحوار العربى الأوربى مرتكزة على أساس المبدأ الخاص بأن العرب يبحثون فى إطار الشرعية الدولية عن إقرار السلام العادل والدائم القائم على استرجاع الأراضى العربية المحتلة بالإضافة إلى الحقوق الدولية لشعب فلسطين .

وفى حقيقة الأمر أن هذا السلام سيحقق بالإضافة إلى المصالح العربية مصالح لكل بلاد العالم وفى المقام الأول بلاد المجموعة الأوربية التى تتصل بالعالم العربى عبر البحر الأبيض المتوسط .

وأن وجهة النظر العربية تشير إلى أن تاريخ هذا الصراع أثبت أن هناك ارتباطا بين أمن المنطقة العربية والمنطقة الأوروبية . ومن هنا فان أمن المنطقة الأوربية سيكون دائما فى خطر طالما أن هذا الصراع لم ينته . ومن ثم فان هذا التهديد المستمر لمظاهر التعاون ولجميع المصالح المشتركة للمنطقتين يحتم على الدول الأوربية التسع استخدام جهودها للإسهام فى حل هذا الصراع .

وكان أول عمل مباشر قام به كل من الطرفين العربى والأوربى لمناقشة موضوع الحوار العربى الأوربى كان الاجتماع الأول للجنة العامة والمنعقدة فى لوكسمبرج فى مايو ١٩٧٦ . وقد احتلت مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى المكانة الأولى فيه . وقد أوضح التقرير النهائى للجنة فى البند ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ الجوانب السياسية للحوار . وفى البند ٧ أوضح

كل من الطرفين وجهة نظره فى المشكلة الفلسطينية وأزمة الشرق الأوسط والتى سجلت باهتمام كبير فى القرارات التى اتخذت من الطرفين وإقرارهم بأن حل المشكلة الفلسطينية قائم أساسا على أن الاعتراف بالحقوق الشرعية لشعب فلسطين هو العامل الأساسى لإقرار السلام الدائم .

والاجتماع الثانى للجنة العامة عقد فى تونس فى فبراير ١٩٧٧ وعبر فيه الطرفان عن قلقهم البالغ بخصوص الأمن فى منطقة الشرق الأوسط وتأثيره على الأمن فى المنطقة الأوروبية والعالم بأسره والخطر الناجم عن تجمد الموقف والمصلحة المشتركة لإقرار السلام .

وقد تأكدت هذه الفكرة مرة أخرى فى الاجتماع الثالث للجنة العامة المنعقدة فى بروكسل فى أكتوبر ١٩٧٧ .

ومن ثم فاننا نلاحظ أن تجربة الحوار نفسها خلال السنوات الأربع الأخيرة قد أوضحت المكانة التى تحتلها مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى فى الحوار .

الآمال العربية على دور الحوار فى حل الصراع العربى الاسرائيلى :

أعلنت المنطقة العربية بوضوح عن تفاؤلها باشتراك المجموعة الأوربية فى حل الصراع العربى الاسرائيلى . فالدور الذى تلعبه المجموعة الأوربية فى حل الصراع يعد بمثابة شرط أساسى لحماية الأمن الأوربى والمصالح العربية الأوربية المشتركة ، كما ينبغى عليها أن تتحمل المسئولية على المستوى الدولى وأن تصحح أخطاء السياسة الأوروبية الاستعمارية التى كانت السبب فى معاناة العرب بعامة والشعب الفلسطينى بخاصة أن البلاد العربية لا تطلب من أوربا أن تلعب دورا يتعدى إمكاناتها وخارج حدود مسئولياتها ولكنها فى نفس الوقت لن تقبل أن تقلل من دورها بالنسبة لمشكلة الشرق الأوسط .

إن دور أوربا كما يتخيله الجانب العربى يحتم على البلاد الأوربية التسع أن تحدد سياسة واضحة تجاه الصراع العربى الاسرائيلى على مستويات متعددة ، مستوى علاقتهم بالدول العربية وشعب فلسطين ، مستوى علاقتهم باسرائيل ، ومستوى علاقتهم مع الولايات المتحدة .

أما ما يخص علاقتهم بالدول العربية فان الجانب العربى كان تواقا منذ بداية الحوار أن تأخذ دول أوربا الغربية موقفا واضحا وعادلا تجاه مشكلة العرب لإثبات حسن نواياها وأداء دورها فى العلاقات الدولية . فأدى بها هذ أن تحاول بمختلف الطرق تحقيق مبدأ انسحاب اسرائيل من جميع الأراضى المحتلة ، والبدء بمشكلة القدس واسترداد الشعب الفلسطينى لحقوقه الشرعية . كما طالبت البلاد العربية الدول التسع بأن تغير من موقفها السياسى وأن تقوم برفع الحظر الذى فرضته على صادرات الأسلحة للبلاد العربية ، كما أوضح الجانب العربى ما تعنيه بتغيير الموقف السياسى الأوربى فى اجتماعات الحوار عن طريق تقديم اسئلة فى مؤتمر لوكسمبرج إلى الجانب الأوربى وتوضيح طلبات الجانب العربى ، وإعلان أوربا عن موقفها ازاء حقوق شعب فلسطين فى أن يعيش فى أمن وسلام والاعتراف باقامة دولته على أرضه – والاعتراف الأوربى بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطينى – وتعبير أوربا من الناحية الإنسانية عن معاناة الشعب الفلسطينى فى الأراضى المحتلة ، وأخيرا الانتقال من مرحلة إقرار المبادىء إلى مرحلة الوصول إلى التطبيق المقرر لها .

وما يخص العلاقات بين أوربا واسرائيل فان الجانب العربى قد طلب من دول أوربا الغربية عند انعقاد مؤتمر القمة العربى بالجزائر أن تقوم هذه الدول بوقف مساعداتها العسكرية والاقتصادية لاسرائيل ، كما طلب العرب أيضاً من الجانب الأوربى فى مؤتمر لوكسمبرج باتخاذ موقف واضح ومحدد ضد الاعتداء والاحتلال الاسرائيلى ، واتباع سياسة اقتصادية من شأنها كبح جماح الاطماع التوسعية لاسرائيل واتباع سياسة التوازن بين العرب

واسرائيل ، وأكد الجانب العربى فى اجتماعاته فى تونس وبروكسل ضرورة أن تعلق الدول التسع مساعداتها الاقتصادية والعسكرية لاسرائيل طالما أن هذه المساعدات تستخدم فى التوغل الاسرائيلى فى البلاد العربية .

وما يتعلق بمسألة العلاقات بين أوربا والولايات المتحدة الأمريكية فقد طلب الجانب العربى من المجموعة الأوربية عند انعقاد مؤتمر الجزائر أن تقوم بالضغط على الولايات المتحدة لكى توقف مساعداتها لعدو العرب ، وذلك باستخدام أوربا لعلاقتها الوثيقة بأمريكا فى أن تطلب منها أيضاً استنكار الاحتلال الاسرائيلى وإدانته والاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد كانت مطالبات العرب هذه قائمة أساسا على معرفتها بالعلاقات الوثيقة التى كانت تربط الدول الأوربية التسع بأمريكا .

ومن ثم فإننا نخلص من هذا العرض إلى أن الجانب العربى يرى أن الدور الذى يجب أن تلعبه أوربا فى الصراع العربى الاسرائيلى واضح وغير مبالغ فيه بل هو فى حدود طاقاتها وإمكانياتها .

أن الجانب العربى يعد الحوار عملية طويلة المدى ، وإنها تتحقق تدريجيا ، إذ أن الحوار هو شىء آخر غير المفاوضات . فهى عملية ترتكز أساسا على ديناميكية خاصة .

أن تجربة السنوات الأربع الماضية فى الحوار تظهر لنا أمثلة واضحة تستحق الإشارة إليها باختصار . فكانت مشكلة تمثيل الفلسطينيين فى اللجنة العامة تعد بمثابة العقبة الأولى فى طريق الحوار . ويكمن سبب هذه المشكلة فى طلب الجانب الأوربى عدم ذكر منظمة التحرير الفلسطينية فى الوفود المشتركة واتفقوا على أن تكون المشاركة فى اجتماع اللجنة العامة خاصة بالدول الأوربية التسع المشتركة فى المجموعة الأوروبية ، وأن يكون تمثيل الجانب العربى محددا من مجلس الجامعة العربية ،وقد كان من الطبيعى أن

يوافق مجلس الجامعة العربية على أن يشترك الوفد الفلسطيني في هذا الاجتماع . وأتفق في النهاية مع الجانب الأوربي على ذلك خاصة وأن فلسطين عضو في الجامعة العربية بالإضافة إلى أن عملية الحوار قائمة أساسا على المشكلة الفلسطينية

والمشكلة الأخرى التي ظهرت كانت عند اعلان المجموعة الأوربية الاتفاق التجاري الذي أبرم بينها وبين اسرائيل في ١١ مايو ١٩٧٥ . ومرة أخرى أستطاع الجانب العربي التغلب على هذه الأزمة وذلك بوضع سؤالين محددين للجانب الأوربي . وقد حصل بمقتضاها على إجابات مرضية .

ومن ثم فان منظمة التحرير الفلسطينية قد احتلت مكانة خاصة في الجانب العربي على أساس أنها تعتبر الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني والمسئول المباشر عن المشكلة الفلسطينية خاصة وأن مشكلة فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي قد أخذت مكانة خاصة في الحوار العربي الأوربي .

وقد تولت منظمة التحرير الفلسطينية فكرة الحوار في اجتماع القمة السادس المنعقد في الجزائر وأكدت موقفها الايجابي لأهمية موضوع الحوار من جانبه السياسي في اجتماع القمة العربي السابع المنعقد في الرباط في أكتوبر ١٩٧٤ . وفي أثناء اجتماع العرب للإعداد لإجتماع اللجنة العامة للحوار طلبت منظمة التحرير الفلسطينية أن يكون موقف الجانب العربي في الحوار مطابقا للأحداث الجارية وبخاصة بعد قيام حرب رمضان .

كيف يمكن تقويم النتائج السياسية للحوار ؟

تطور مجالات التعاون بين طرفي الحوار يمكن تحليلها على أساس البيان الذي صدر في لندن سنة ١٩٧٧ الذي كان بمثابة إجابة على جميع الأسئلة التي عرضها الجانب العربي في بداية الحوار السياسي ومطالبته تطوير البيانات

التى صدرت فى اجتماع ٦ نوفمبر وعلى ضوء الأحداث التى وقعت فى خلال فترة أربع سنوات من هذا الاجتماع .

ومن ثم نلاحظ من متابعة تطور الحوار أن الجانب الأوربى فى لوكسمبرج قد عرض مشكلة الاعتراف بحقوق شعب فلسطين فى أن يكون له شخصية دولية . ثم أشار فى مؤتمر تونس إلى أن خلافات الشرق الأوسط لن تحل إلا بالإعتراف بحقوق الشعب الفلسطينى . وأخيرا فان الجانب الأوربى قدر أن حل هذه الخلافات لابد وأن تشتمل على أهمية إقامة وطن للشعب الفلسطينى بعد إعلان الرئيس الأمريكى كارتر أهمية إقامة وطن للفلسطينيين .

كما أن زيارة الرئيس السادات للقدس فى نوفمبر ١٩٧٧ كان لها تأثيرها على مشكلة الصراع العربى الاسرائيلى وعلى العلاقات العربية الدولية وكان لها إنعكاسات هامة على الموقف العربى فى الحوار .

مستقبل الحوار :

ما هو المستقبل الذى نتوقعه للحوار بعد الأحداث الأخيرة فى موضوع الصراع العربى الاسرائيلى . إن هذا المستقبل فى الواقع متوقف على ما سيدور فى دائرتين مختلفتين ، الدائرة الأولى خاصة بطرفى الحوار .. والدائرة الثانية تضم الأطراف التى تحيط بالحوار وبخاصة الولايات المتحدة واسرائيل

فما يخص الدائرة الأولى فان هناك سؤالا يطرح بخصوص وحدة الجانب العربى الذى يعد طرفا متحدا فى الحوار ، وبعد تغيب مصر عن مؤتمر القمة العربى الأخير فى بغداد فى نوفمبر ١٩٧٨ . وفى حالة أن تمضى مصر الاتفاقية مع اسرائيل ، وما تأثير إجتماع كامب دافيد على الوحدة العربية ولكننا نتوقع أن يستمر العرب كمتكلم واحد فى الحوار . ونقطة أخرى نود الإشارة إليها وهى أن الحوار قد دخل مرحلة جديدة بعد اجتماع

اللجنة العامة فى تونس حيث انتقل الحوار من مجرد مبادىء وعموميات إلى مرحلة التطبيق .

وفى الحقيقة فان ميكانيكية العمل فى الحوار قد نظمت بطريقة مرضية . وقد تم تحديد دعم مالى معين لأنشطة الحوار ، كما أصبح التبادل التجارى بين مجموعة الدول الأوربية التسع والبلاد العربية فى تزايد مستمر ، فزادت قيمة التبادل التجارى بين الطرفين إلى أربعة أضعاف خلال الأربع سنوات الأخيرة . ومن ثم فان المصلحة المشتركة بين الطرفين ستساعد على حل أى مشاكل يمكن أن تنشأ فى الطريق .

إننا لا ينبغى أن نهمل أخطار الصراع العربى الاسرائيلى على أمن وتعاون الطرفين . فمن جهة انتشر فى العديد من العواصم العربية حالة من الغضب بعد مؤتمر كامب دافيد . ومن جهة أخرى فان ما تحقق فى كامب دافيد بين مصر واسرائيل يمكن أن يحث المعهد الصهيونى العسكرى على الإسراع بالاعتداء ليس فقط عن طريق إنشاء مستعمرات فى الأراضى المحتلة ، ولكن أيضاً عن طريق شن هجوم على الأردن وسوريا وشعب فلسطين وذلك على غرار ما فعلته اسرائيل فى مارس ١٩٧٨ عند استيلاءها على جنوب لبنان . ومن ثم فان هذا الوجود العدوانى الاسرائيلى سيساعد على تقوية عدم الاستقرار فى المنطقة وزيادة حالة التطرف فى البلاد العربية ، الأمر الذى يتطلب البحث العاجل عن تسوية شاملة عادلة ودائمة .

أما الدائرة الثانية فى الحوار الخاصة بالولايات المتحدة واسرائيل ، فان السؤال الأساسى هو معرفة ما إذا كانت مجموعة الدول الأوربية ستقوم بمعرفة المشكلة بكل وضوح فى مفاوضاتها مع الولايات المتحدة .. وهل ستقوم باتخاذ موقف أكثر فعالية من الموقف الحالى ؟ إن الإجابة تتوقف على العلاقات القائمة حالياً بين المصالح الأمريكية والمصالح الأوربية فى المنطقة العربية . إن هناك فرصاً كبيرة وأكيدة لتحقيق أعمال فى مجال

الحوار العربي الأوربي . فالمجال مفتوح وواسع وما ننتظره من الحوار هو حتمية مستقبلية . ولكن هذا لا يعني أن مستقبل الحوار سيكون مشرقا ، فكم من مناسبات وأفكار تواجدت على مر العصور وظهرت كحتمية مستقبليـــة ولكننا رأينا أن الانسانيـــة عجزت عن تحقيقها لأســـباب كثيرة ، ولكننا نرى أن الحوار باعتباره حتمية مستقبلية يعني أن الجهود المبذولة فيه تسير مع التاريخ وليس ضده . هذه الجهود يجب أن تتابع وتتزايد .

ويجب أن يكون دور الدول التسع الأوربية في هذا المجال هو البحث عن إقرار سلام عادل ودائم في المنطقة .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية